

مهربي البشر والإستراتيجيات الأمنية لمكافحة: مهمة صوفيا الأوروبية و انعكاسها على العلاقات الليبية الإيطالية*

بوزيد ضاوية⁽¹⁾

⁽¹⁾ طالبة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة قسنطينة-3، الجزائر.

الملخص:

تفاقمت الأزمات واتسعت رقعة الحروب والصراعات التي دفعت الآلاف من البشر إلى الهجرة والنزوح هرباً من المخاطر، وطلب لحياة أكثر استقراراً في الدول الأوروبية. من خلفية البنية المدمرة لحياة الأفراد وبالتالي تزايد مستمر في الهجرة خارج أوطانهم، ومن خلفية تحقيق أرباح خيالية على حساب الأفراد المهاجرين، إنتشرت وإتسعت أعمال شبكات وعصابات تهريب الأشخاص التي زادت أعدادها في ظل المردود الكبير الذي تجنيه من هكذا تجارة خصوصاً مع استعداد المهاجرين غير شرعيين إلى تقديم مبالغ كبيرة مقابل الخلاص، وفي مواجهة انتشار هذه الظاهرة الخطيرة خاصة في شمال إفريقيا. قامت دول الإتحاد الأوروبي بإتخاذ إجراءات جديدة أمنية للقضاء على شبكات التهريب المنتشرة من خلال تبني معايير أمنية، وتعتبر مهمة صوفيا أحد أهم العمليات التي تقوم بها الدول الأوروبية لمكافحة مهربي الأشخاص قبالة السواحل الليبية المتوجهة خاصة إلى إيطاليا. والورقة البحثية تحاول تناول مهمة صوفيا محيطة بجوانبها النظرية والتطبيقية ضمن الإجراءات الأمنية التي تقوم بها الدول الأوروبية في سبيل التصدي لهذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية:

تهريب الأشخاص، الهجرة غير شرعية، مهمة صوفيا، الإستراتيجية، الأمن، الإتحاد الأوروبي.

* تاريخ إرسال المقال 2018/04/01، تاريخ مراجعة المقال 2018/05/06، تاريخ نشر المقال 2018/07/31

Les trafiquants des personnes et les stratégies sécuritaires pour les combattre : La mission Sophia et ses conséquences sur les relations italo-libyennes

Résumé:

En quête de stabilité, des milliers de personnes émigrent, notamment vers les pays Européens, fuyant les crises et les conflits dans leurs pays d'origine. Pour cela, ces émigrés clandestins sont prêts à dépenser d'importantes sommes d'argent pour passer de l'autre côté ; d'où l'accroissement d'un commerce juteux : le trafic illicite de migrants.

Face à la propagation de ce phénomène, en particulier en Afrique du Nord, les pays de l'Union européenne ont pris de nouvelles mesures de sécurité pour éliminer les réseaux de passeurs.

La mission Sophia est l'une des opérations les plus importantes menées par les pays européens pour lutter contre les passeurs au large des côtes de la Libye, notamment en Italie.

Nous essayerons de traiter, à travers ce travail, les aspects théoriques et pratiques de la mission Sophia dans le cadre des mesures de sécurité prises par les pays européens afin de lutter contre le phénomène du trafic illicite de migrants.

Mots clés:

Trafic de Migrants, Immigration Clandestine, Mission de Sofia, Stratégie, Sécurité, Union Européenne.

Migrant smugglers and The security strategies to fight them: The mission of Sofia and its consequences on the Italian-Libyan relations

Abstract:

That aggravation of crises and the breadth of wars and conflicts, that have led thousands of people to emigrate, to stable life in European countries, people have fled the dangers, from the background of the destructive structure of the lives of individuals, and thus continue to increase immigration abroad nations, and against the backdrop of the achievement of fictitious profit the expense of immigrant individuals. The networks of smugglers have grown and expanded and spread who increased their numbers. In the light of the great benefits that you gain from such, especially with the willingness of illegal immigrants to provide large for salvation, in the confrontation the spread of this phenomenon, especially in North Africa.

European Union countries have taken new security measures to eliminate the smuggling networks, scattered through the adoption of security standards, Sofia's mission is considered one of the most important by European countries, to combat the Human smugglers off the coast of Libya, heading towards Italy.

This paper attempts to address Sofia mission encompasses its theoretical and applied aspects, within the security measures carried out by European countries in order to address this phenomenon.

Keywords:

Persons Smuggling, Immigration on illegal, Sofia mission, Strategy, Security, European Union.

مقدمة

بدأ اهتمام حكومات دول الاتحاد الأوروبي بمشكلة الهجرة غير الشرعية، محاولة وضع سياسات وإستراتيجيات متجددة تتماشى والتدفقات الهائلة للهجرة غير شرعية نحوها، وذلك بالتعاون والاشتراك مع الحكومات المحلية لدول جنوب المتوسط، غير أن هذا الاهتمام من قبلها قد ركز بشكل أساسي على ضرورة وقف الهجرة غير الشرعية إلى شواطئ أوروبا بآليات أمنية، دون تناول الأسباب الجذرية لهذه الظاهرة، التي ساهمت في بلورت انتشار شبكات تهريب البشر بصورة كبيرة وفق تنظيم معين.

أمام تزايد معدلات الهجرة غير شرعية والآثار السلبية المتخلفة عنها، وما رافقه من انتشار الجريمة المنظمة بصفة عامة وجريمة تهريب البشر بصفة خاصة، حاولنا تسليط الضوء على الظروف المحيطة التي ساهمت في انتشار شبكات التهريب، والتعريف بمهمة صوفيا التي تعبر عن التوجه الأوروبي في إستراتيجيته لمكافحة مهربي البشر في وسط المتوسط، أي المعبر الليبي للهجرة غير شرعية. في ظل التساؤل عن مدى فعالية مهمة صوفيا في الحد والتصدي لانتشار شبكات تهريب الأشخاص؟ وهل ساهمت في تراجع معدل الهجرة غير شرعية أم زيادته؟، ومدى انعكاس هذه المهمة على أمن وسلامة الأفراد المهاجرين؟ وعلى العلاقات الليبية الإيطالية من حيث توسيع العلاقات لتشمل محاربة ظواهر أخرى كالأسلحة مثلاً.

ليكون هيكل الدراسة: تناول الموضوع من خلال العناصر الرئيسية:

- 1- مفهوم شبكات تهريب البشر (تعريف+ النشأة).
- 2- خصائص وأسباب انتشار شبكات المهربين.
- 3- مهمة صوفيا للحد من انتشار شبكات مهربي البشر.
- 4- العلاقة الإيطالية الليبية ضمن مهمة صوفيا.
- 5- تقييم عملية صوفيا وأهم التحديات.

أولاً- مفهوم شبكات تهريب البشر:

يعتبر ملف شبكات تهريب البشر من الملفات الشائكة والمعقدة لما تحمله من انتهاكات حقوقية وإنسانية مست معظم دول العالم، ولتقديم تعريف واضح لهذه الشبكات ارتأينا تناول المفهوم حسب بروتوكول مكافحة مهربي البشر.

1- تعريف تهريب المهاجرين وفقاً لبروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين

عرفت المادة 03 من الفقرة أ إلى تعريف جريمة التهريب: "يقصد بتهريب المهاجرين تدبير الدخول غير مشروع لأحد الأشخاص إلى دولة طرف ليس ذلك الشخص من مواطنها أو من المقيمين الدائمين فيها، وذلك من أجل الحصول بصورة مباشرة أو غير مباشرة على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى".¹

تهريب البشر هو نشاط إجرامي قليل المخاطر كثير الأرباح، يمكن أن ينفذ عن طريق الجو، البحر أو البر، وفي الغالب عبر مسارات معقدة تتغير بسرعة، ويقوم مهربي المهاجرين بالتهريب لأغراض تحقيق أرباح مالية بتدبير دخول أشخاص بطريقة غير شرعية لبلدان ليسو مواطنها ولا مقيمين دائمين فيها، وبشكل عام يتعاون الأفراد المعنيون بالهجرة بملء إرادتهم مع المهربين وتنتهي هذه العلاقة بمجرد دفع تكاليف الرحلة، ويقضى على حياة آلاف المهاجرين غير شرعيين أثناء الرحلة داخل البحر.

2- نشأة ظاهرة تهريب البشر

نشأة ظاهرت تهريب البشر عقب الحرب العالمية الثانية في الدول الفقيرة خاصة ذات الكثافة السكانية العالية والتي يرتفع بها معدلات الفقر كغالبية الدول الإفريقية، وبعض الدول الآسيوية ودول أمريكا الجنوبية. ينقسم عمل شبكات تهريب الأشخاص إلى نوعين:

أ- تهريب فردي

يقصد به تهريب البشر عن طريق شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص في قوارب صغيرة مقابل مبالغ معينة أو التسلل إلى السفن التجارية دون علم إدارتها والمهاجرة من خلالها أو عبر

مراكز حدود غير محروسة من طرف حرس الحدود، ويتميز هذا النوع من التهريب أنه غير منظم، وحتى الأفراد قد يكونون محليين أي لا تشكل منظمة عالمية ذات خبرة وخطورة عالية.

ب- التهريب عبر شبكات منتظمة

يتم تهريب البشر عبر شبكات التهريب العالمية التي يكتسب أفرادها الخبرة الكافية بقوانين الهجرة، من خلال عملهم في مراكز وشركات السياحة والسفر، حيث تستخدم عصابات التهريب ممرات برية وأخرى بحرية غير خاضعة للرقابة الحدودية مقابل مبالغ مالية، دون تقديم ضمانات أمنية وصحية خلال رحلة التهريب للمهاجرين غير شرعيين لما يتعرضون له من أخطار ناجمة عن غرق القوارب نتيجة حمولة تفوق قدرتها، وهنا يكون المهاجر غير شرعي أمام استغلال أفراد شبكات التهريب وابتزازهم نظرا لظروفهم الصعبة التي دفعتهم للهجرة نحو الموت.²

3- تهريب البشر وفق القوانين الدولية

نظرا لخطورة ظاهرة تهريب البشر الناتجة عن الهجرة غير شرعية على حياة المهاجرين وأمن واستقرار العالم بأسره، سارعت الدول إلى تشديد الرقابة على حدودها و الانضمام لاتفاقيات ومعاهدات دولية تهدف إلى البحث عن حلول لمسألة الهجرة غير شرعية وتهريب البشر، باعتبارها مسألة أمنية بالدرجة الأولى، وذلك بوضع قوانين صارمة لكبح جماح هذه العصابات التي طالت يدها عبر أنحاء العالم، في ظل تزايد أعداد المهاجرين الفارين من الدول التي تعاني ألالاستقرار الذي تشهده بعض دول العالم خاصة الفقيرة منها.

ومن بين الوثائق الدولية التي هدفت الى وضع ضوابط للهجرة غير الشرعية بتعزيز التعاون الدولي في ذلك، نجد :

❖ بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر والبحر والجو³: يعتبر البروتوكول المكمل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية أول اتفاقية قامت بمكافحة جريمة تهريب المهاجرين.

تم توقيع البروتوكول بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 25 في الدورة 55 بتاريخ 15 نوفمبر 2000، وكان الهدف منه هو تعزيز التعاون في مجال الهجرة غير شرعية

والتنمية، وذلك من أجل معالجة الأسباب الجذرية للهجرة التي يعد الفقر من أقوى دوافع الهجرة غير الشرعية بحثا عن الأمن الغذائي.

كما جاء البروتوكول للتأكيد على:

- حسن معاملة المهاجرين
- حماية حقوقهم الإنسانية
- محاربة أنشطة الجماعات الإجرامية المنظمة في مجال تهريب المهاجرين
- محاربة كافة الأنشطة الإجرامية ذات صلة.

ومن بين الجوانب التي تضمنتها المواد المتعلقة بتهريب المهاجرين التي تضمنها البروتوكول، هي المتعلقة بالتهريب عن طريق البحر باعتباره أهم منافذ التهريب، حيث ركز البروتوكول على :

- تدابير مكافحة المهاجرين عن طريق البحر.
- التدابير الحدودية.
- المراقبة الدقيقة للوثائق التي يحملها المهاجرين.

4- جنسيات أفراد شبكات تهريب المهاجرين

يحمل أفراد شبكات تهريب الأشخاص جنسيات مختلفة (أفغانية، عراقية، أريتيرية، سورية، ليبية..... الخ)، إذ يتواجدون باستمرار عند نقاط العبور لدول أخرى، وغالبا ما يكون المهربين لهم جنسية بلد المهاجرين، ولكنهم يحملون حق الإقامة في الإتحاد الأوروبي أو جواز سفر من دول الإتحاد، وهذا ما أسفر عن ظهور شبكات كبرى من أصحاب التهريب خلال السنوات القليلة الماضية، عملت على احتكار تجارة التهريب على حساب الشبكات الصغيرة أو الفردية، وتنتشر عصابات التهريب في مناطق التوتر والنزاع مع حدود دول الجوار والدول الأوروبية.⁴

ثانيا: خصائص وأسباب انتشار شبكات مهربي البشر

أ- الخصائص

من خلال التقرير المشترك للأنتربول واليوربول المتضمن : نظرة شاملة عن الأنشطة والهيكل التنظيمية وقدرات التشغيل والنقاط الجغرافية لمهربي المهاجرين وأرباحهم المقدرة" حاولت استخلاص بعض الخصائص المتعلقة بالأفراد المهربين ، التي تتمثل أساسا في :⁵

- يسافر أعضاء الشبكة الإجرامية بنسبة 90 % من المهاجرين إلى الإتحاد الأوروبي.
- الطرق الرئيسية التي يتم تحديدها من طرف أفراد العصابة لتهريب المهاجرين تتسم بالسوء ولا أمن لأنها مراقبة من طرف حراس الحدود.
- تهريب المهاجرين هو عمل متعدد الجنسيات، حيث ينتمي المشتبهون بهم على أكثر من 100 بلد.
- هيكل شبكات مهربي البشر: يتكون الهيكل من ثلاث مهام
 - (1) القيادة: وهي الفئة التي تنسق الأنشطة على طول الطريق.
 - (2) المنظمين: وهم الذين يقومون بعمل الإشراف على الأنشطة المحلية من خلال الاتصالات الشخصية.
 - (3) المسيرون: وهي الفئة ذات مستوي عمل محدود لكن أكثر تأثير وإجرام ، فهي تقوم بعمل الانتهاز والابتزاز خلال طريق الرحلة، مثل الزيادة في الأموال أو إضافة شروط جديدة غير إنسانية. على المهاجرين .
- يميل المشتبه بهم في التهريب إلى الارتباطات السابقة مع أنواع أخرى من الجرائم.
- المهاجرون يتعرضون لكل أنواع العنف و الاستغلال من طرف أفراد شبكات التهريب، فهم بحاجة إلى تسديد مبالغ مالية كبيرة للمهربين.

ب- أسباب انتشار شبكات التهريب:

1- الهجرة غير شرعية

تعتبر الهجرة غير شرعية أهم سبب رئيسي في زيادة شبكات تهريب المهاجرين، لأنه كلما زادت وتيرة الهجرة غير الشرعية الناجمة ظروف اجتماعية، اقتصادية، أمنية بالدرجة الأولى ، كما هو الحال في معظم الدول التي تشهد زيادة في الهجرة ، حيث شهدت الفترة الحالية تزايد كبير في وتيرة الهجرة غير الشرعية كافة أنحاء العالم، وحسب صندوق الأمم المتحدة للسكان، بلغ عدد المهاجرين الدوليين في جميع أنحاء العالم 244 مليون شخص عام 2015 ، وهذا يمثل زيادة بنسبة 44 % منذ عام 2000، وزيادة ب 5% منذ عام 2013⁶ ، وتشمل بعض الدوافع الرئيسية للهجرة الدولية في مختلف أنحاء العالم، الهروب من النزاعات والاضطهاد والبحث عن الفرص الاقتصادية،

وحسب وكالة فرونتكس (وكالة حماية الحدود والسواحل الأوروبية)، هناك عدة مسارات للهجرة غير شرعية نذكر منها: مسار شرق البحر الأبيض المتوسط، متوسط وغرب البحر الأبيض المتوسط، أمريكا الوسطى، جنوب إفريقيا، جنوب شرق آسيا)، وأهما مسار شرق المتوسط بين تركيا واليونان، ومسار وسط المتوسط بين ليبيا وإيطاليا، وأن أغلب المهاجرين الوافدين عبر طريق وسط المتوسط من جنسيات إفريقية حيث ينتقل هؤلاء عبر ليبيا إلى إيطاليا.⁷

حيث شهد مسار المتوسط -دخول الاتحاد الأوروبي عبر إيطاليا- اكتظاظ كبير بسبب موجات الهجرة، إذ بلغ عدد الوافدين 154000 مهاجر عام 2015، وشكل الإريتريون، النيجريين والصوماليين، أكبر عدد من المهاجرين على طول هذا الطريق.

2- الانفلات الأمني الليبي كمولد لشبكات تهريب البشر

شجعت الدولة الليبية الهجرة من البلدان العربية وحتى الإفريقية في الفترة ما بين السبعينات إلى التسعينات من القرن الماضي، وذلك بهدف ملئ النقص في اليد العاملة المحلية، لكن بعد تلك الفترة ومع دخول الألفية الثانية أصبحت ليبيا بلد عبور رئيسي للوصول إلى أوروبا بصورة غير نظامية، حيث توافد المهاجرين غير الشرعيين خاصة من الدول الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء وغيرها، وجدت ليبيا نفسها أمام وفد كبير من المهاجرين، ما أدى إلى وضع قوانين أكثر تقيدا لتنظيم الهجرة، من خلال فرض تأشيرات الدخول إلى جانب سياسات الاحتجاز والترحيل للمهاجرين غير شرعيين.⁸

قد نشطت تجارة تهريب المهاجرين من قبل شبكات المهربين في ليبيا عقب الإطاحة بالنظام عام 2011، حيث أصبحت دولة منارة أمنية وسياسيا في ظل انعدام النظام الحاكم، وهو ما مكن الآلاف من المهاجرين من المرور عبرها نحو أوروبا، كما كانت أيضا مركزا لآلاف المهاجرين الذين توقفوا فوق أراضيها رغبة في مواصلة المسير نحو أوروبا من دول الصراع في إفريقيا وآسيا، هذا ما جعل ليبيا بيئة خصبة للمهربين الذين عادة ما يعملون مع الفصائل المسلحة التي تمتلك السلطة الحقيقية على الأرض الليبية، كما أن انهيار نظام العدالة أدى إلى الإفلات من العقاب، حيث تمكنت الجماعات المسلحة والعصابات الإجرامية والمهربين من السيطرة على تنقل المهاجرين عبر البلاد.

مع الإشارة أن الاتفاقيات الثنائية التي عقدت بين ليبيا ودول الجوار للحد من تدفقات الهجرة غير شرعية عام 2013، لم ترى النور على أرض الواقع، وبشأن ضبط الحدود والأمن لم تستقر عن تعاون منهجي ولم تساهم في الحد من الشبكات الإجرامية لتهريب المهاجرين عبر الحدود البرية، وحسب المنظمة الدولية للهجرة وصل عدد المهاجرين في ليبيا لعام 2016 إلى 276.957 وصل من بينهم 168.542 مهاجر إلى إيطاليا.⁹

لذا يرى بعض الخبراء أن القوانين والإجراءات الأخيرة التي اعتمدها بعض الدول الأوروبية ضد المهاجرين مثل إغلاق الحدود، وإتباع أساليب القمع والتهريب، أدى إلى تفاقم مشكلة تهريب البشر، حيث تسعى هذه العصابات إلى زيادة أجورها وإتباع أساليب جديدة قد تضرب بالمهاجرين وتزيد من معاناتهم.

ت- عمل شبكات تهريب الأشخاص

تستخدم عصابات المهربين في عملها شبكات التواصل الاجتماعي لتوصيل المعلومة للمهاجر الراغب بالهجرة وبذلك يتفق الطرفان على الالتقاء في مكان معين.

تقدم شبكات المهربين خدمات تساعد المهاجرين على الوصول إلى مقصدهم في إحدى الدول الأوروبية بطريقة غير شرعية مقابل مبلغ معين من المال، وهناك من المهاجرين من يدفع نقداً، وآخرون يلجؤون للاستدانة ويضطرون للعمل بشكل غير قانوني على طول طريق الرحلة حتى يصلون إلى وجهتهم، كما يقوم المهربين بتزوير الوثائق أو تهريب تأشيرات السفر ليتمكن المهاجرين التعامل مع السلطات في عدد الدول قبل الوصول إلى وجهتهم، وحسب تقرير مشترك بين اليوروبول والأنتربول، إن شبكات تهريب المهاجرين غير الشرعيين حسب عام 2015 كسبت من 5 إلى 6 مليار دولار من نشاطها الإجرامي في تهريب البشر، وحوالي مليون مهاجر دخلوا أوروبا عام 2015 حيث دفع كل منهم لعصابات التهريب ما يتراوح بين 3،200 و6،500 دولار في المتوسط.¹⁰

يتقاضى المهربون أسعار متفاوتة لأنواع مختلفة من الزوارق التي تتنوع بين سفن الصيد القوية المزودة بأنظمة رادار، وزوارق مطاطية رخيصة ذات قاع خشبي بدائي الصنع، وأغلبها الزوارق المطاطية نظراً للأعداد الهائلة التي تموت غرقاً في البحر بسبب هشاشة الزوارق من جهة، والحمولة للمهاجرين الزائدة عن قدرة القوارب من جهة أخرى.

تعد أيضا من الأعمال غير إنسانية للمهربين ملئ الزوارق بالوقود غير الكافي للوصول إلى المياه الدولية، وتشير التقديرات الأمامية إلى غرق حوالي ألف مهاجر في البحر الأبيض المتوسط عام 2015 من أفريقيا والصحراء الكبرى، الذين أستقو قوارب المهربين و انطلقوا من ليبيا¹¹،. تقام أيضا حروب بين شبكات مهربي المهاجرين، تصل إلى المواجهة بالسلح وإطلاق النار، والنتيجة الوحيدة تعود على المهاجرين.

ث- طرق شبكات تهريب البشر من ليبيا إلى أوروبا

بعد الاتفاق الذي حدث بين تركيا والإتحاد الأوروبي حول إغلاق مسار اليونان عن طريق تركيا، أصبحت واجهة المهربين السواحل الليبية باعتبارها أهم منطلق إلى أوروبا. حسب شبكة CNN نشرت في منتصف ديسمبر تقرير حول طرق شبكات تهريب البشر في ليبيا إلى أوروبا، مؤكدة فيه أن من يملك سيارة رباعية الدفع ويكون خبير في مسالك الصحراء أو قاربا ويكون خبير بالبحر، ومن تكون له علاقات متينة في المنطقة تتكفل بتأمينه يصبح مهربا في ليبيا وينخرط عبر سلسلة تهريب متكاملة تبدأ من وراء حدود ليبيا البرية لتنتهي عند حدودها البحرية .

تنطلق رحلة المهربين للمهاجرين من الحدود الليبية عن طريق الصحراء باتجاه منطقتي الكفرة وسبها اللتين تعدا أهم مناطق تجمع المهاجرين في جنوب ليبيا، ثم يتم توزيعهم إلى الشواطئ الليبية الموجودة غرب ليبيا خاصة مدينة مصراته وزوارة، حيث يتم تجميع المهاجرين ثم ارسالهم في قوارب إلى أوروبا، و تبلغ تكاليف نقل الأشخاص من الحدود الليبية إلى داخلها 200 دولار، أما النقل من الجنوب إلى الشمال يكون ب100 دولار ومن الشمال إلى الغرب بلغ حوالي 400 دولار.(مصدر عسكري في الجيش الليبي).

ثالثا: الإستراتيجية الأوروبية لمكافحة مهربي البشر

نظرا لتزايد عدد المهاجرين غير الشرعيين القادمين من ليبيا باعتبارها تشكل منطقة وسط في البحر الأبيض المتوسط لعبور المهاجرين الوافدين من دول جنوب إفريقيا خاصة، قرر الإتحاد الأوروبي خوض حربا جديدة ضد عصابات التهريب التي نشطت وتوسعت بشكل كبير في الفترة

الأخيرة وحققت أرباح، حيث أصبحت تشكل مافيا التهريب ولها ارتباطات بجهات ومؤسسات وشخصيات لها سلطتها خصوصا مع تنامي رقعة الفساد في العديد من الدول.

أ- مهمة صوفيا البحرية

أصل التسمية: أطلق اسم "صوفيا" على العملية البحرية للإتحاد الأوروبي لمكافحة مهربي البشر ضمن مكافحة الهجرة غير شرعية ككل، نسبة إلى طفلة صومالية ولدت على متن سفينة إنقاذ ألمانية خاصة بمكافحة عمليات تهريب المهاجرين إلى أوروبا من ضمن 16 سفينة حربية تابعة لإتحاد الأوروبي.¹²

تشكل مهمة صوفيا إحدى عناصر إستراتيجية الهجرة غير شرعية بالإتحاد الأوروبي، وتتضمن الإستراتيجية أيضا عملية صوفيا من ضمن أمور أخرى منهجية، أطر تشاركيه مع بلدان المهاجرين الأصلية وبلدان العبور، وهي تحت إمرة القائد الأميرال (أنريكو كريدينينو)، ويقع مقر العملية بروما.

في جوان عام 2015 أطلق الإتحاد الأوروبي عملية صوفيا في منطقة البحر الأبيض المتوسط أمام السواحل الليبية، وتمثل مهمة صوفيا في تنفيذ إجراءات منظمة للتعرف على المراكب، وأي ممتلكات تم استخدامها أو الاشتباه باستخدامها من قبل المهربين، واحتجازها والتخلص منها، وذلك من أجل المساهمة في توسيع جهود الإتحاد الأوروبي من أجل تعطيل الأشكال التجارية لشبكات مهربي البشر في المنطقة الجنوبية المركزية للبحر الأبيض المتوسط،¹³ من خلال تقديم برامج بناء القدرات الحكومية الليبية، ودعم عمل منظمات الأمم المتحدة في المنطقة بما يتضمن منظمة الهجرة الدولية، مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين، بالإضافة إلى منظمات دولية أخرى ومنظمات غير حكومية تعمل في ليبيا.

أنشأت أيضا لجنة متخصصة من الخبراء للعمل مع عملية "يونارفور ميد صوفيا"، الهدف منها تعزيز قدرتها على تعطيل التهريب بليبيا، والاضطلاع بأنشطة البحث والإنقاذ التي من شأنها إنقاذ الأرواح، وتحسين الأمن في المياه الإقليمية الليبية،¹⁴ كما قامت مهمة صوفيا بتدريب حرس سواحل ليبيا على متن سفينتين بعثة الأمم المتحدة لمراقبة في إفريقيا الوسطى في أعالي البحار، وتم تدريب 78 من حرس السواحل، في المرحلة الأولى أي مع بداية مهمة صوفيا عام 2015، ثم المرحلة الثانية من التدريب في 30 جانفي 2017 بدأت المجموعة الثانية من التدريب الذي قامت

به عملية صوفيا التابعة لحرس السواحل الليبية والبحرية في مركز التدريب البحري في اليونان، وشمل العدد 20 متدرب في مجالات عدة.¹⁵

انقسمت مهمة صوفيا إلى مرحلتين في تنفيذ المخطط:

1- المرحلة الأولى: إنقاذ المهاجرين من الهلاك قبالة السواحل الإيطالية، عند دخول قوارب المهاجرين غير شرعيين المياه الدولية يتم التقاطهم من طرف الشرطة الإيطالية، وهذه المرحلة هي قيد التنفيذ، وقد أعلن المجلس الأوروبي الذي يمثل الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي في بيان أن العملية مكونة من شقين¹⁶:

الأول: تبدأ مهمة صوفيا في المرحلة الأولى بالمراقبة عن بعد للشبكات التي تنشط انطلاقاً من السواحل الليبية وجمع المعلومات، أي أن السفن الأوروبية تقوم بمراقبة عمل شبكات مهربي المهاجرين المتواجدة في السواحل الليبية، التي تعد نقطة انطلاق قوارب المهاجرين إلى السواحل الإيطالية.

ثانياً: هي المرحلة التي يبدأ فيها الهجوم على المهربين قبل الوصول إلى السواحل الإيطالية، تفتيش السفن ومصادرتها، وتتم في هذه المرحلة عملية إنقاذ المهاجرين على متن قوارب المهربين.

2- المرحلة الثانية: وهي المرحلة المهمة بالنسبة لعملية صوفيا، المتمثلة في دخول القوات الأوروبية إلى المياه الليبية للتوجه نحو مصدر التهريب، أي مراكز انطلاق قوارب مهربي البشر المحملة بالمهاجرين غير شرعيين المتجهين نحو إيطاليا، وهذه المرحلة لم تدخل مرحلة التنفيذ لأن الحكومة الليبية لم تعطي الضوء الأخضر للقوات الأوروبية للدخول للمياه الإقليمية الليبية.

فعملية صوفيا تهدف إلى منع هؤلاء المهربين من إطلاق السفن محملة بالمهاجرين، و اعتراضهم عندما يدخلون المياه الدولية لمواكبة هذه الزوارق.

ب- إنجازات مهمة صوفيا

قامت السلطات الإيطالية خلال الفترة الممتدة من عام 2015 إلى عام 2016 بمقاضاة 101 مهرب وتاجر بشر مشتبه فيهم، وإزالة 344 قارباً من أمام المنظمات الإجرامية، وإنقاذ 29,300

شخص خلال 20 عملية، ويتم إنزال المهاجرين بعد أنقاضهم في إيطاليا¹⁷، وفي 25 جويلية 2017 مدد مجلس الولاية عملية صوفيا المتوسطة التابعة لليونافور حتى تاريخ 31 ديسمبر 2018، وهي عملية متوسطة تقوم بتعطيل الأعمال التجارية للمهربين للبشر والاتجار بهم في وسط المتوسط، وقام مجلس الولاية بتعديل مهام العملية إلى:

- إنشاء آلية رصد المتدربين لضمان كفاءة تدريب خفر السواحل الليبية على المدى الطويل
- إجراء أنشطة مراقبة جديدة وجمع المعلومات عن الاتجار غير المشروع في صادرات النفط في ليبيا وفقا لقرار مجلس الأمن 2146 عام (2014)، 2362 عام (2017).
- تعزيز إمكانات تبادل المعلومات بشأن الاتجار بالبشر مع وكالات إنقاذ القانون التابعة للدول الأعضاء، فرونتكس، اليوروبول.¹⁸

ثالثا: العلاقة الإيطالية الليبية ضمن مكافحة مهربي البشر

أبرمت مذكرة تفاهم بين الحكومة الإيطالية ممثلة بـ "باولو جنتليون" والحكومة الليبية الممثلة بـ "فائز السراج" المدعومة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية في طرابلس، والتي يؤيدها الإتحاد الأوروبي، وتعهدت بتقديم تدريبات لخفر السواحل ومعدات وأموال لمكافحة مهربي البشر، ومراقبة الحدود الجنوبية للبلاد وسط تنديد المنظمات الحقوقية حول مخيمات اللاجئين في ليبيا التي لا تتوفر على أي مستوى معيشية .

مقابل تقبل ليبيا ببناء مراكز لإيواء المهاجرين غير الشرعيين داخل أراضيها تمولها إيطاليا لغاية ترحيلهم لبلادهم،¹⁹ في الوقت نفسه حصلت إيطاليا على دعم 10 رؤساء بلديات في صحراء جنوب ليبيا لمكافحة تهريب البشر، لكن البرلمان الليبي اعترض في بيان له على أن رئيس المجلس الرئاسي فائز السراج لا يمثل بصفة قانونية دولة ليبيا وفقا للقانون الدستوري، مشيرا إلى أن الهجرة من القضايا المصيرية للدولة، فهي من اختصاص عمل النواب.

كتقييم لورقة التفاهم أكد البرلمان أن الحكومة الإيطالية ودول الإتحاد الأوروبي ككل يريدون أن يتخلصوا من أعباء ومشاكل المهاجرين غير الشرعيين الخطيرة في ليبيا.

رابعاً: تقييم مهمة صوفيا

أ- حسب التقرير البريطاني

اعتبرت اللجنة الأوروبية في البرلمان البريطاني يوم 12 جويلية 2017 قبل قرار تجديد عملية صوفيا، أن عملية هذه الأخيرة فشلت في تحقيق وتأدية مهامها في منع ووقف شبكات مهربي البشر من نقل المهاجرين إلى السواحل الإيطالية في رحلة محفوفة بالمخاطر، أيضاً في ظل عدم موافقة الحكومة الليبية على دخول القوات العسكرية المياه الإقليمية لا جدوى من مهمة صوفيا على المياه الدولية في القضاء على مهربي البشر.

نجد من بين النقاط المهمة التي تحدثت عنها رئيسة اللجنة البرلمانية المعنية بالتدقيق في وثائق وسياسات الاتحاد الأوروبي، أن تهريب البشر يبدأ من البر، لذلك لا تعد مهمة بحرية كآلية لحل مشكل المهربين، وحسب ما جاءت به المشرعة البريطانية أن الحل يكمن في النظر بالدرجة الأولى في المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تتخبط فيها دول المغادر منها المهاجرون، وكيف نتعامل معهم ومنعهم من الهجرة.²⁰

كما اعتبرت مهمة صوفيا فاشلة في تحقيق أهدافها نظراً لكونها تشجع على الهجرة بطريقة غير مباشرة من خلال استقبال المهاجرين غير الشرعيين في المياه الدولية لإنقاذهم بواسطة زوارق التي تقودهم إلى أوروبا بأمان، حيث أصبح المهاجر لا يتردد في ركوب زوارق المهربين لاطمئنانه بوجود القوات الأوروبية لإنقاذه، وبالتالي ساهمت في زيادة وتيرة الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا، وهذا ما أكد عليه أيضاً المتحدث باسم البحرية الليبية "أيوب قاسم" للجزيرة نت أن عملية الاتحاد الأوروبي قصرت المسافة التي يقطعها المهاجرين، إذ أن القوارب تطلق نداءات الاستغاثة ومن ثم تبدأ مهمة صوفيا بالإنقاذ.

تحديات مهمة صوفيا

من بين التحديات والصعوبات التي واجهتها مهمة صوفيا منذ انطلاقتها عام 2015 التي حالت دون الوصول إلى الأهداف المرجوة من العملية في البحر الأبيض المتوسط:

- ارتفاع وتيرة الهجرة غير الشرعية: ارتفعت عمليات الهجرة غير شرعية إلى أوروبا عبر طريق وسط المتوسط بنسبة 18 % في عام 2016، وارتفعت بنسبة 19 % في الأشهر الأولى لعام 2017 مقارنة بالعام الماضي.

- نظرا لعمليات مصادرة قوارب المهربين من طرف قوات صوفيا، سارع المهربين إلى التكيف مع العملية، و أصبحوا يرسلون المهاجرين على متن قوارب غير صالحة للإبحار مما أدى إلى زيادة كبيرة في أعداد الوفيات .
- وجود حكومة موحدة تمثل دولة ليبيا قادرة على توفير الأمن في جميع البلاد، والعمل مع الإتحاد الأوروبي بشأن الهجرة، هو شرط أساسي مسبق لاتخاذ إجراءات هادفة ضد شبكات تهريب المهاجرين الموجودة داخل ليبيا وحدودها، في ظل عدم قدرة حكومة الوفاق القيام بهذا الدور.

كما تعد من بين التحديات التي صعبة من وصول مهمة صوفيا إلى تحقيق أهدافها هي منطلقها في حد ذاته، أي أن منطلق المهمة في الحد من شبكات مهربي البشر هو عسكري أمني بحت وهذا ما لم تستطع تطبيقه على دول المصدر أو العبور، لأن هذه الدول تعاني من مشاكل اقتصادية، اجتماعية، أمنية، سياسية ساهمت في زيادة وتيرة الهجرة غير شرعية، ولتخطي هذه الظاهرة والحد منها وبالتالي الحد من مهربي البشر هو التعامل مع المسألة من منطلق تناول المشاكل الجذرية لإيجاد الحلول، وبالتالي تراجع وتيرة الهجرة تماشيا مع تحسين ظروف حياة المواطن خاصة المهمشين.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة نخلص إلى نتيجة مفادها أن ما يأخذ على السياسات الأمنية للإتحاد الأوروبي تجاه الهجرة غير شرعية القادمة من الجنوب المتوسطي، أنها غير موحدة وتعتمد بشكل كبير على سياسات وطنية لكل دولة أوروبية، فعدم وجود اقتراب أوروبي موحد للتعامل مع قضايا الهجرة في القارة الأوروبية، وذلك من خلال وجود صراع قانوني وسياسي بين المعسكرين الأول معسكر دول جنوب أوروبا وهي (اسبانيا، ايطاليا، اليونان، قبرص، مالطا) وهي دول الواجهة والمستقبلية للهجرة غير شرعية مباشرة وتحمل العبء الأكبر في التعامل مع القضية وتطالب بإعادة توزيع هذه الأعباء على باقي دول الإتحاد باعتبارها مشكلة دولية لا داخلية.

أما الاتجاه الثاني يتمثل في دول وسط أوروبا وشمالها وتشمل (فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، و بقية الدول) تتعارض مع اتفاقية "دبلن"، وترى أن الهجرة قضية داخلية بالأساس وأنها تستقبل قدرا كبيرا من الهجرة غير الشرعية .

إن السياسات الأمنية التي يطرحها الاتحاد الأوروبي تقوم على الحلول الأمنية وهي غير عملية كونها تهمل الأسباب والظروف المحيطة بالهجرة غير شرعية، تعتمد على إنشاء مراكز الاحتجاز والترحيل وتشديد المراقبة، مثل عملية صوفيا التي تجسد التوجه الأوروبي الذي يريد فرض شروطه على الجانب الليبي للعمل على محاربة مهربي البشر، وبدلا من ذلك يفترض به التركيز على دعم مشروعات تنموية يكون عمادها مؤسسات المجتمع المدني خاصة في القرى والأرياف: وكذا تحميل كل المسؤولية على دول الأصل في حد ذاتها ، التي لابد من تحسين أوضاع مواطنيها مع التكتل والعمل الجماعي لمحاربة الظاهرة الخطيرة التي تمس كل الفئات وكل أقطار العالم، وهنا يمكن تحقيق التلازمة بين الهجرة ومهربي البشر، فإذا تم القضاء على الهجرة غير شرعية يكون القضاء على مهربي البشر آلي، وبالتالي يعتبر المهاجرين المادة الخام لانتشار شبكات مهربي البشر ، مما يدعوا إلى ضرورة تحسين الأوضاع داخل الدول التي تكثف فيها الهجرة خاصة الفساد، الفقر...، حالات الحرب، والصراعات الداخلية، التي تعد شرط أساسي للتقليل من أخطار مهربي البشر.

الهوامش:

¹: الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية، بروتوكول مكمل: مكافحة تهريب المهاجرين عن طريق البر، البحر، الجو، 15/11/2000.

²: محمد عبد الله سعود السراني، العلاقة بين الهجرة غير المشروعة وجريمة تهريب البشر والاتجار بهم، ط1، جامعة نايف للعلوم العربية والأمنية، الرياض، 2010، ص 114.

³: الأمم المتحدة، 2000، ص 4-5.

⁴: بثينة اشتيوي، تجار اللجوء، عصابات تكسب المليارات من تهريب اللاجئين ، ساسة بوست، نقلا عن:

<https://www.sasapost.com/refugees-trade-and-smuggling/>

⁵: Europol and Interpol , ssne comprehensive review of migrant smuggling net works, 17 mai 2016,

⁶: المنظمة الدولية للهجرة، اتجاهات الهجرة العالمية، 2014.

⁷: ويسلي دوركي، شبكات تهريب البشر إلى أوروبا.. طرق محفوفة بالمخاطر، مهاجر نيوز، 2017، نقلا عن:

<http://www.infomigrants.net/ar/post/2790>

⁸: تقرير حول انتهاكات حقوق الإنسان ضد المهاجرين في ليبيا، محتجزون ومجردون من إنسانيتهم، مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا ، 2016/12/13.

⁹: نفس المرجع

¹⁰: Europol and Interpol , ssne comprehensive review of migrant smuggling net warks, 17 mai 2016,

¹¹: Mathieu Galtier, Migrant smugglers profit from Libya's chaos, Tripoli, 23/04/2015, IRIN, according to: <http://www.irinnews.org/report/101396/migrant-smugglers-profit-libyas-chaos>

¹²: تقرير سري لإتحاد الأوروبي حول تدمير زوارق المهاجرين، عملية صوفيا، نشرت من طرف صحيفة، موسكوفسكي كومسومولتيس، 18/02/2016، نقلا عن: <https://arabic.rt.com/press/811641>

¹³: تقرير الهجرة الدولية لعام 2015، الهجرة والنزوح والتنمية في منطقة عربية متغيرة، الأمم المتحدة والمنظمة الدولية للهجرة، ص 11.

¹⁴: Uniform med operation Sophia starts training of Libyan navy coast guand and Libyan navy Europeen vmian external action.

¹⁵: Peration Sophia : pachage2 of the Libayan navy coast and Libyan navy training launcha today: according to: https://eeas.europa.eu/headquarters/headquarters-homepage/19518/operation-sophia-package-2-libyan-navy-coast-guard-and-libyan-navy-training-launched-today_en

¹⁶: أوروبا عصابت التهريب... حرب جديدة وقودها المهاجرين، شبكة نبأ المعلوماتية، 2015/10/5، نقلا عن: <http://annabaa.org/arabic/rights/3734>

¹⁷: تقرير الهجرة الدولية لعام 2015، ص 10.

¹⁸: Eunafor med opertion Shphia : mandate extended until 31 December 2018 .

¹⁹: عبد الله الشريف، حول الاتفاق الليبي الإيطالي بشأن الهجرة غير شرعية، الجديد، 8 فيفري 2017 نقلا عن: <https://www.alaraby.co.uk/politics/2017/2/8/>

²⁰: تقرير بريطاني: عملية صوفيا الأوروبية فشلت في منع تهريب المهاجرين من ليبيا، أخبار ليبيا 24 ، 2017/07/12.